

الطالب المصري

يدرس للشهادة لا للعلم

كان يعاب على مدارسنا إلى وقت قريب أنها تعنى بتخريج الموظفين وأن البرامج التعليمية ليست من الإحاطة أو العمق بحيث تجعل خريج المدرسة العليا شغوفاً بدراسته يحى قلبه بشهوة الثقافة ويثابر مدى حياته على التحصيل والبحث واستقصاء الجديد في الفروع التي عرف مبادئها وأصولها بالمدرسة .

وكان العاشبون على حق في هذا الذي كانوا يقولون . ولكن هذه البرامج قد تغيرت إلى حد ما . ثم إن المدارس العالية قد استحوطت إلى كليات جامعية وأصبحت الثقافة الخاصة قصداً والدراسة الزهية غاية . ولا يمكن أن يقال إن كليات الجامعة تهيئ طلبتها للوظائف الحكومية ، لأن هذا الزعم تنقصه أسماء الدراسات التي يدرسها الطالب إن لم نقل مرادها . بل إن الحكومة هي التي تشكو الآن وتدعى أنها لا تجد الموظفين الأكفاء من خريجي الجامعة . وهي أحياناً لا تبالي أن تعين حامل شهادة الحقوق كاتباً في الحسابات أو نحو ذلك . وظننا أن حكومتنا سوف تنتهى إلى إيجاد دراسة معينة للخدمة المدنية — أى وظائف الحكومة — كما هو الشأن في إنجلترا وغيرها من الأقطار المتقدمة التي وجدت أن الدراسات الجامعية لا تزودها بمحاجتها من المعلومات التي يتبها بها المرشح للوظيفة المدنية حتى يؤدي واجباته على الوجه الكامل .

ولكن الذي يعاب على الطالب المصري في الوقت الحاضر أن يدرس للشهادة وليس للعلم . وهو لا يكاد يحصل على شهادته حتى يطلّق الكتاب أو العمل فلا يكاد يقرأ شيئاً إلا لقصد التسلية ولا يكاد يقف مرة أخرى أمام أنايب الاختبار . فكأنه كان يدرس بالجامعة لكي لا يدرس بعدها . أو كأن للعلوم حدوداً نهايتها الشهادة . مع أن العكس هو الذي كان يجب أن يفرض . وهو أن الشهادة بداية لا نهاية . وأن الطالب عندما تخرج من الجامعة قد حصل على مقدار معين من العلم الذي درس يتيج له الاعتماد على نفسه في التوسع والتعمق والاختبار والتجربة . فإن أعظم ما يمتاز به التعليم الجامعي أنه يعلم الطالب كيف يعلم نفسه . فإذا لم ينتفع خريج الجامعة بهذه الميزة فإنه لا يكون قد استغل الجامعة إلى الحد الذي ينبغي له .

ويجب أن تكون الثقافة هواية كل متعلم التي ينفق فيها ما فاض من ماله وفراغه .
والطالب الذي تمرس بالطريقة العلمية وعرف طرق الاختبار العلمي يجب ألا ينقطع عند
ما يخرج فيركن إلى الخمول الذهني ولذة التسلية السطحية من قراءة السخيف من المجلات
أو منح الجرائد أكثر مما تستحق من العناية . بل يجب أن يشرع في تأسيس مكتبة في منزله
تنمو كلما تقدم في السن وتجعله على المسام بكل ما يوجد في المادة التي درس . بل هو يحسن
أيضا إذا تابع إبحائه التي بدأها بالجامعة وجعل جزءا من مكتبته خاصا بالاختبارات والتجارب .
فإن العلم لا يتقدم كما لا تزكو الاكتشافات إلا في هذا الوسط ، وسط الكبار المتعالمين
يدأبون في البحث مدى حياتهم لاستكناه أسرار الطبيعة والحياة .

وأعظم ما ينبه النشاط إلى الاتجاه العلمية هو الاتصال المستمر بالأوساط العلمية . لأن
هذا الاتصال يحدث جوا نفسيا يحمل صاحبه على الاهتمام الدائم بمواصلة الدرس . ولا يكون
هذا إلا بأن يستبق خريج الجامعة ، علاقته بالجامعة وعندئذ يجب على الجامعة نفسها أن تزيد
هذه العلاقة روابط بالاجتماع والمراسلة والألقاب مع تيسير الدراسة حتى على غير القادرين
على الحضور للحاضرات لإقامتهم في بلدة نائية عن القاهرة والاسكندرية .

وبدهي أن لفتنا في حالها الحاضرة لا تفذو الذهن الذي يطلب الثقافة العلمية . ولذلك
يجب على كل خريج من الجامعة أن يشترك في إحدى المجلات الأجنبية بل في بضع مجلات
أجنبية تعالج المادة العلمية التي درسها في الجامعة . فإن مهمة هذه المجلات تنحصر في نشر
الأخبار الخاصة بالمكتشفات أو المخترعات التي تتصل بالمادة أو في نقد وعرض الكتب
التي تعالجها . ولما كانت العلوم تنماز من الآداب بوفرة ما يجدها فيها فإن هذا الاتصال كبير
القيمة . كما يتضح لنا ذلك مثلا من مكتشفات الطب الحديث . فقبل سنة ١٩١٥ لم يكن
أحد يتحدث عن الفيتامينات التي لها أعظم الشأن الآن في المعالجة لأعراض النقص . وقبل
سنة ١٩٠٨ لم يكن طبيب يعرف قيمة العقار الخاص بمعالجة السفلس المرض الزهري
المعروف . وحديثا جدا اتضحت القيمة الكبرى للغدد الصماء . ولا نذكر العقاقير الكيماوية
مثل السولفانيلاميد التي لا يرجع اكتشافها إلى أكثر من ثلاث سنوات . وقل مثل ذلك
في كثير من الأدوية . فإن الطبيب الذي تخرج مثلا سنة ١٩١٠ أو ١٩١٥ ثم انقطع عن
مواصلة الدراسة يجد نفسه متخلفا أعظم التخلف ومقصرا أعظم التقصير في مهته .

وهذا أيضا هو الشأن في جميع العلوم ، فيجب على الطالب لهذا السبب أن يجهل حصوله
على الشهادة بداية الدراسة المستقلة ، بل بداية التجارب العلمية التي تجعل منه عضوا مفيدا
لا لوطنه فقط بل للبشرية جميعها .